زليخة أبو ريشة

سَمَكٌ غارق في الأرخبيل

كيف لي أن أسمَعك؟
أيُّها الذي لا يقولْ؟
المدارات حُلَّقٌ
والمدى وجهُهُ
ضحكةُ الفُلِّ عن كلامٍ طويلْ.
خوفُ أن أطال الذي لا يُطالْ.
خوفُ أن المراسيمَ والوهمَ
أُحجياتِ البَناتِ اللواتي اطَّرَدْنَ... ويملأنَ
صَحْنَ الديارْ.
خوفُ أنَّ الصَّدَى كالصَّدى وأنَّ الفُصول تمرُّ
وأنَّ الحياة انكسارْ.
خوفُ أن قد جرى اللهُ فينا
وأنْ.... من سيداوي انقلابَ الشتاء إلى
الظلِّ؟

من سيورقُ في الصَّحنِ فينا
من سيقطف منّا براعمَ أرواحنا
ويجفّف دمعَ الكلام؟ اشرأبّتْ مناديلُ أمّهاتٍ
طَوَيْنَ إلى الليل قنديلَهُنْ.
عبثْن قليلاً بقمحِ المساءِ وصُرَّةِ ذكرى تئنْ.

ألا أيُّها الواجِدُ الصَّحوُ
من سيسكرُ الآنَ في الحانِ؟
ومن سيصفُّ الكؤوس على عَتَباتِ النساءْ؟
ومن سيصيح إذا هبّت الرِّيحُ:

زُليخا

وهو نصف سكرانَ في الصباحِ الطريِّ المولولِ
عند انكفاءِ الجبالِ على مستحيلِ الجبالْ..؟
أيُّها الواحديُّ
المنزَّهُ من طينِ أهوائهنّ
المولَّهُ في القَفْرِ
وحدي أعدِّدُ أسماءَ ذاكَ الجَسدْ
أيها المارقُ الخائفُ
المتردّي
[أيُّها المُفَزَّعُ المُحَوَّرُ الباقي الساندُ
الكَفورُ المُعيلُ المرقَّقُ المتنادي البصيرُ
العليمُ النؤومُ الكفيلُ الرؤوفُ السعيدُ
المتبنّي.. أيُّها المتبنّي أيها الفارسُ
الحاضرُ القارئ المتربِّصُ
المغتالُ الضامرُ والمضمورُ والخرافيُّ
المبدَّدُ أيُّها الريحُ والقَرنفلُ أيُّها المصفوفُ
والحاكمُ والسؤالُ أيُّها العليلُ]
أيُّها الغافر المعفَّرُ بالأوفْ
أيُّها الواحديُّ القَليلْ...

اتّكأْتُ عليكَ مسافةَ ظلٍّ قصير

اتّكأْتُ عليكَ لأخفي صفاتي
وأنقشَ في الظلِّ ظلَّ الصِّفاتِ
كلاماً كثرثرةِ الواحدِ الفَرْدِ
في النواميسْ
كلاماً كمثلِ تدحرجِ آه المحبِّين
يا لَصفاتِ الكلامْ!!

أمنْ وَجَعٍ لا تردُّ؟
أمن حكمةٍ جائرة؟

أيُّها الليلكيُّ... يا وَحْمَ آلهةٍ نذرْنَ النُّذورَ
لتأتي كما أنتَ أتيتْ. شاقلَ الشهواتِ
الحسانَ تعلّي مراتبَ شهقاتهنْ
أيُّها الليلكيُّ النبيُّ اختبئْ في الورود
ورودُ كؤوسكَ مشروبةٌ
والدفاترُ حمقى تطيرُ على الشرفات تمحو ابتهاج القصائدْ.

والدفاترُ معربشَةٌ بالمساءْ
تطيرُ إلى صمتِ أمّي
وتغرزُ أظفارها في متونِ الهواءْ
والغبارُ يعشّشُ في الشّعرِ أعلى الرفوفْ
والمخادعُ مكتظّةٌ بالغبارِ... بنا
برائحةِ التَّبْغِ وقودكاك
برائحة الدّمعِ
التصاقِ الحشايا بأرواحنا الدّائخاتْ.

أيُّها الكلامُ تكلَّمْ
ويا حنجرةَ الوقتِ انشجي
فالبكاء كأنَّ البكاءْ
يجرُّ إلى أمنيات البكاءْ
مناديلَه الضائعاتْ.

أنا الآن وحدي
والنخيلُ كثيرٌ على السَّطْرِ
أنا الآنَ تلكَ الشرانقُ
أصطادُ منها
شموسي
لأحرقكَ الآنَ أيُّها الواحديُّ
الموحَّدُ في النسوة الواجداتْ

أيُّها الواحديُ
اختبئْ ورق الصَّحْوِ
لملمْتُ من دفتري
غباراً كثيراً
لأسقط في البئرِ

لا تراني القبائلُ
لا تتمهَّلُ، لم تلتقطني
ولي صبيةٌ يقرأونَ الجراندَ
لم يَرَوْني سقطْتُ
ولم يسمعوني
والذئاب التي على كتفي
حرّةً تنهشُ صوتي

أيُّها الواحديُّ
أفي الدغل مأوى من الدّغل والانتظار؟
نسيجي تهرّأ
من يرتق الشرخ أيُّها الواحديُّ
ومن يُعلّي إلى سُدَّةِ الوجهِ
تلك الجهاتْ؟
أنا ـ من أنا؟ ـ أيُّها الواحديُّ

عروقُ سويعاتِ صفوكَ
أمدوحةٌ لأناكَ
ارتجافةُ وَدْجَيْكَ
لمّا أدقُّ الندى في المكاحِلِ
حتى أضمّخَ من ذرّاتِ روحي.. سواكْ
أيُّها المرتجى...!

وأنا أيُّها الواحديُّ العليُّ المهيمنُ
قُدّوسُ لَيْلي
نثيثُ غرباتِ فيضي
تشقُّقُ جلدِ النشيجِ
أنا خضرة القيظِ استلابُ المروجِ
وفتنةُ أن ستدقُ الطبولُ على مأتمي
أنا مأتمي
والبُوارُ الجميلْ
أيُّها النائم الخائف الواحديُّ الخجولْ!

أنا الفكرة النُقطةُ الثَّلْمُ جَهْلُ الأقاصي
أنا محوُ أرضي ومحوُ سمائي
ومحوُ صفاتي ومحوُ تدرُّجِ عَفْرِ الكلامْ.

أيُّها الواحديُّ المُفَدّى
تكلَّمْ...
أنا بِكرُ الصبايا اللواتي نَسَلْتَ
وبكرُ النساءِ اللواتي نسيتَ
وبكرُ مجونِ النساءْ.
ولا بَيْتَ لي
لا سريرَ أسجّي عليه صلاتي
ولي جَسَدٌ مائتٌ كالمياهْ.
ولا بيت لي
لا كتابَ
ولا مقعَدٌ من حريرْ
وبعتُ ثيابي عشيَّةَ متُّ
على قارعة الطُّرقِ بعتُ ثيابي

ولُذْتُ إلى شهقةٍ من جليدْ...
ما أبعدَكْ!

أنا الآنَ عاريةٌ من أنا.
وفي داخلي المائتِ المستباحِ أنا مائته.

قَرْعُ الطبولِ يجيء من الأسقفِ الواطئهْ
قَرْعُ الطبولِ يجيء ويشتدُّ
لا بيت لي
ولا جوْفَ أغنيةٍ ألوذُ بها
لا مصحف ذَهَبَتْهُ الحكايا
ولا كأسَ
لا وجهَ
لا مصطفىً
والأيامى اللواتي على كتفي اتّكأنَ
يبيكين وقتي
لا بيت لي.

أيُّها المتنبي... وما بعتَ بعدُ صباياكَ
في الحجِّ مثلَ الفساتينْ
لم تمتشقْ بعدُ سيفَ الرؤى
وما توضّأتَ عصراً أيُّها المتنبيْ.

أيّها الواحديُّ المفتَّتُ في شرفةِ الصدرِ
تَكَلَّمْ...

ولا بيت لي
ولا وَجَع أستردُّ صداه
ولا ذاكرَه.....

عمان